

الوقائع الغرائبية لاختفاء الحركة الطلابية

مؤيد طينينة، فلسطين

تساهم هذه المقالة في النقاشات والسجلات الساعية إلى تفسير حالة الانكفاء التي تعيشها الحركة الطلابية في الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية، ولا سيّما في ظلّ هذه اللحظة التاريخية الحرجة، حيث تبرز الحاجة والمُلحّة معرفياً للتفكير في سُبُل تفعيل الأطر التنظيمية القادرة على استنهاض القوى الكامنة في مكوّنات الشعب الفلسطيني. وفي سياق الحركة الطلابية، تتمثّل هذه القوى الكامنة في "عماد الثورة الفلسطينية المعاصرة"، وذلك من خلال الإضاءة على التحوّلات المستمرّة التي تمرّ بها إدارات الجامعات منذ اتفاقيات أوسلو في العام 1993، مروراً بتبنيّ سياسات البنك الدولي وصعود النزعة الفردانية واللبلة، والانقسام السياسي، وانتهاء بالإبادة في غزة والحرب المفتوحة في مختلف أنحاء فلسطين.

في ظلّ زحمة البحث والدراسة والإضاءة المعرفية على جامعة بيرزيت وحركتها الطلابية، التي ما إن دار نقاش حول الحركة الطلابية إلّا وحضرت فيه، نذهب في هذه المقالة إلى جامعات خارج رام الله أيضاً. لقد كانت النضالات الطلابية في بيرزيت مسنودةً من داخل الجامعة، في معادلة يصعب فهمها تماماً، حيث سياق نشأة الجامعة الذي ارتبط بخطاب وسياق ثوريين، وإصرار على مواصلة النضال. أما تجاوز النقاش المحصور في جامعة بيرزيت لصالح نقاشات مشابهة في الجامعات الأخرى، فقد يمثّل "غبطة وطنية" في ظل لحظة مصيرية حرجة تعيشها فلسطين وجامعاتها وحركاتها الطلابية وبخاصة في زمن التنافسية التقنية، والشعارات المفرغة.

لقد كان اقتحام قوات الاحتلال "الإسرائيلي" حرم جامعة بيرزيت ظهيرة 6 كانون الثاني/يناير 2026، الحرم المكتظّ بالطلبة لوقف نشاط للحركة الطلابية، التي "وقفت عند مسؤوليتها"، للتضامن مع الأسرى بعد فشل تهديدات الاحتلال المستمرة لثنيها عن التزامها الأخلاقي والوطني... إنذاراً شديد الوضوح لجامعة بيرزيت وحدها، بل للجامعات الفلسطينية كلّها: أنّه لا مأمّن من الاقتحام إن سمحت للحركة الطلابية ممارسة نشاطها النقابي والسياسي. وقد سبق اقتحام حرم جامعة بيرزيت اقتحامً مشابه لحرم جامعة القدس ظهيرة 9 كانون الأول/ديسمبر 2025، تخلّله تهديد إدارة الجامعة، واستجواب الطلبة في قاعات التدريس.

حملت الاقتحامات دلالات واضحة تستدعي التبصّر للإجابة عن الأسئلة المصيرية المتعلقة بهوية الجامعة الفلسطينية ورسالتها: كيف ترى الجامعة نفسها؟ وما هو شكل الفضاء الجامعي الذي تصبو إليه؟ هل سيقرأ

الاقترام باعتباره تهديداً بمنع النشاط السياسي للحركة الطلابية؟ وللإجابة عن تلك التساؤلات، ينبغي إعادة النظر في التجربة الجامعية الفلسطينية بأسرها وليس بحركتها الطلابية وحسب. ولا شك بأن هذه الأسئلة أسئلة وجودية لإدارات الجامعات، ومن شأن الإجابة عنها أن تعطينا صورة حول فهم هذه الإدارات منطق الجامعة تحت الاستعمار. وذلك على الرغم من أن بيانات التنديد بالاقترام الصادرة عن الجامعات تعطينا صورة أولية، ولكنها غير مكتملة، حيث لم تخلُ من خطاب المطالبة بالتدخل الدولي، وهو أمرٌ يحتاج إلى كثير من المراجعة والنقد، وإن لم يكن ذلك مناط الاهتمام في هذه المقالة.

من أوصلو إلى فياض: حرب على الجامعة

يحتاج جورج جقمان، أستاذ الفلسفة والدراسات الثقافية في جامعة بيرزيت، أن هناك حرباً تخاض ضد الجامعات الفلسطينية، وأن هذه الحرب متعلقة بطبيعة النظام السياسي الذي يؤثر على عمل الجامعة ككل، ومستويات التعليم والبحث العلمي فيها، ونوعية الخريجين أيضاً، ما أفرز تدنياً في مستوى الكثير من الجامعات.¹ بينما يرى بلال سلامة، أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة بيت لحم، أن هناك تدميراً للثقافة الجامعة الفلسطينية من خلال إخراج الثقافة بمعانيها التقدمية والوطنية في الوقت الذي يتوجب على الجامعة أن تعكس ما هو مرتبط بالثقافة المقاومة والوعي الجمعي، والمصير المشترك.² ففي السياق الذي يغيب فيه "كيان دولاني" للفلسطينيين، تأخذ الجامعة مكاناً تتضاعف فيه أهميتها في الريادة المعرفية والسياسية والمجتمعية.³ والجامعة، بما هي امتداد للمجتمع، والطلبة، بما هم عماده ووقود ثورته، فبطبيعة الحال أن تستهدف "الحرب" والتدمير الثقافي للطلبة—طليعة المجتمع.

يرى الأكاديمي في الجامعة العربية الأمريكية، أيمن يوسف، أن "تسييس" الجامعات في فترة ما بعد أوصلو لعب دوراً سلبياً في تراجع العمل الجماهيري والنقابي والمطلبي للكتل الطلابية. فالمهمة المحورية للحركة الطلابية، كما يراها يوسف، هي "دمقرطة الحرم الجامعي" الذي عطله دخول الأحزاب السياسية والتنظيمات داخل أسوار الجامعات، ما منح أولوية للمصالح "الحزبية" على حساب القضايا "الخدمية".⁴ لكن سياق نشأة الحركة الطلابية يكشف لنا سياقاً مغايراً عن الذي "خبب" آمال يوسف، ذلك أن لحظة تشكّل الحركة الطلابية مرتبطة بالعمل السياسي لا الخدمي وحسب. أما إبراهيم خريشة، رئيس سابق لمجلس الطلبة في جامعة بيرزيت، فيعتبر أن سياق نشأة الحركة الطلابية الفلسطينية مرتبط بفصائل منظمة التحرير الفلسطينية حيث مثلت الكتل الطلابية امتداداً لها. وقد ساهم تطوّر الأحداث السياسية، بعد اجتياح بيروت في سنة 1982، في إيلاء منظمة التحرير الفلسطينية دوراً أكبر في الساحة الفلسطينية في الداخل. وقد انعكس هذا الاهتمام على الحركة الطلابية إذ أصبحت العلاقة بين فصائل المنظمة والحركة الطلابية أكثر وضوحاً.⁵

لقد ساهم اختيار منظمة التحرير الفلسطينية مسار التسوية السياسية وتخليها عن نهجها، باعتبار

"الكفاح المسلح" طريقاً لتحرير فلسطين، في ولادة "سلطة" من رحم منظمة التحرير الفلسطينية المتآكل نتيجة تبني الأساليب السلمية العقيمة كخيار استراتيجي. ولا شك أن هذا قد فرض العديد من التحديات والتهديدات والقيود على الجامعة بما هي فضاء اجتماعي وسياسي من المفترض أن تنشط فيه الحركة الطلابية لبناء حراك وطني واسع.

وجزاء تلك التحوّلات والمعطيات الجديدة، اصطدمت الحركة الطلابية بواقع جديد، وأصبح مفروضاً على الحركة الطلابية أن تتبني أدواراً وبرامج مختلفة ومغايرة عمّا قبل أوسلو. لقد ساهم ذلك التحوّل، إلى جانب عوامل أخرى، في ابتعاد الجماهير الطلابية عن أطرها السياسية عبر بروز لجان طلابية غير سياسية، مثل "لجان البيئة" و"حقوق الطالب"، و"كتل المستقلين"، وإحجام الطلبة عن المشاركة في الندوات السياسية والاجتماعات التي تدعو إليها الأطر الطلابية، وزيادة عدد الطلبة المستقلين سياسياً وتنظيمياً وبرز "الشّلل" القائمة على أساس الصداقة الاجتماعية لا السياسية.⁶

وقد شهد هذا التعطيل للسياسي على حساب المعطيات المتوالدة حالة تكثيف مع انحسار انتفاضة الأقصى التي اندلعت في العام 2000، ما وسّع رقعة التجريف السياسي والثقافي والوطني على حساب الاقتصادي والاستثماري والتقني. كما أسهمت هيمنة السياق السياسي السلمي والتفاوضي والضبط الأمني في فرض العديد من التحديات والتهديدات والقيود. هذا بالإضافة إلى حالة الجمود تجاه حالة الانقسام السياسي الفلسطيني الذي يعيش مرحلتين في آن معاً، وهما: التحرر الوطني، و"بناء الدولة" والمؤسسات. ومن ناحية أخرى، لا تزال الحركة الطلابية تشهد تراجعاً "في قدرتها على التغلغل الاجتماعي والسياسي، وحصص نشاطها، في الغالب، داخل أسوار الجامعات وغياب البنية الموحدة للحركة الطلابية الفلسطينية في علاقاتها الداخلية والخارجية والدولية."⁷

ولعلّ من تداعيات تلك الهيمنة لمعطيات الواقع الجديد الاستهداف المباشر للأطر الطلابية التي حملت برامج سياسية مغايرة، أي برامج مقاومة بشكل خاص، باعتبارها تنحاز إلى خيار غزة المقاوم، فجرى التعامل معها بمنطق الإقصاء بالنار والحديد بلغ حدّه الأقصى مع قتل الطالب محمد الرّداد في حرم جامعة النجاح في سنة 2007. وقد كشفت تقارير حقوقية عن تجاهل إدارة الجامعة حادثة القتل وتقييدها ضدّ مجهول على الرغم من علمها بهوية القاتل.⁸ ساهم التّدخل الأمني في الجامعات، بموافقة إدارات بعضها، إلى جانب الاتفاق غير المعلن بتوليّ عمادة شؤون الطلبة من قبل أستاذ يتبع لحركة فتح-حزب السلطة الحاكمة. ويشار إلى أنّ هذا التّدخل أثار على تجريف العمل السياسي، وبالتالي تشكيل حالة جامعية مفرغة لا تمارس أيّ نشاط سياسي فاعل، حيث كشفت دراسة عن الوعي السياسي لدى الشباب الجامعي في جامعات جنوب الضفة الغربية عن التّدني إلى ما يقارب الثلثين من الدور "المفترض بالجامعة" كما وصفته الدراسة.⁹

لا شك أن التّدني يعطي صورة عامة عن الحالة السياسية في جامعات جنوب الضفة الغربية، حيث يكون

طمس الوعي السياسي ممنهجاً وتقوم عليه إدارات الجامعات في الوقت نفسه الذي تقيّد فيه حرية العمل الطلابي بكافة أشكاله. لقد كانت تجربتي كطالب في إحدى هذه الجامعات، وطيلة سنوات الدراسة الأربع، تتمثل في أن يكون النشاط الطلابي على شاكلة "النوادي" لكل الكليات، وكان مفرغاً من أي معنى نقابي أو سياسي، بل بقي محصوراً بالنشاطات الترفيهية مثل الإفطارات الجماعية، وتنظيم الرحلات، ومعارض أعمال الطلبة... ما يفتح باب التساؤل عن الكيفية التي يجري فيها طمس الوعي السياسي في ظلّ تعامل الطلبة مع إدارة الجامعات التي تسعى للتجريف السياسي.

التدافع الطلابي مع الجامعة: أمانة الجامعة وعسكرتها

في مرحلة مبكرة من عمر السلطة الفلسطينية، نقل يوم 3 نيسان/ أبريل 1996 دور الحركة الطلابية من إطارها التقليدي إلى آفاق المساهمة في القضايا العامة التي تتجاوز حدود الإطار الظرفي والمكاني للحركة الطلابية.¹⁰ فقد بدأ الحدث مع افتتاح الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة حرم جامعة النجاح لقمع احتجاج الطلبة على ملاحقة السلطة للمناضلين.¹¹ حينها ردّ مجلس طلبة جامعة بيرزيت بمسيرة باتجاه المقاطعة في رام الله. ولاحقاً الموقف زار الرئيس عرفات جامعة النجاح واعتذر من الطلبة بقوله "إذا إنتو متحملتوش أخطاءنا مين يتحمل أخطاءنا؟"¹² وبعد تلك الحادثة، لم نشهد حتى اللحظة الاعتذار عن ملاحقة المناضلين (المستمرة) أو عن تدخّلات الأمن الفلسطيني (المستمرة) في الجامعات.

وبالرغم من مركزية اقتحام نيسان واعتذار الرئيس عرفات، فقد مثّلت تلك "الحادثة" نقطة التحوّل الحقيقية في تاريخ الحركة الطلابية في الجامعة التي تحوّلت إلى ثكنة أمنية.¹³ وقد شهدت السنوات التالية تعطيل مجلس اتّحاد الطلبة، وتقييد عمل الكتلة الإسلامية والقطب الطلابي وغيرهما من الأطر الطلابية غير المحسوبة على السلطة. وبلغت أقصى درجات حدّتها في حادثة اعتداء أمن جامعة النجاح على مجموعة من الطلبة، احتجّوا على سياسات إدارة الجامعة تحت مسمى "الحراك الطلابي"¹⁴ الذي اعتُبر صرخة وعي، ولم يصل حتى اللحظة حدّ انبعاث جديد للحركة الطلابية لما قبل العام 2007، ما قبل مقتل الرّداد تحديداً. ولعلّ ذلك يعطينا ملامح وجه جديد لمحاولات النهوض المستمرة، والمتعّرة، في وجه محاولات التغييب والمحو.

وعلى الجانب الآخر، في نيسان/ أبريل 2018 وقّعت الكتل الطلابية المتنافسة على انتخابات مجلس اتحاد الطلبة اتفاقاً مع إدارة جامعة بيرزيت يقضي البند الثالث فيه بمنع "العسكرة"، والمقصود به منع أيّ مظهر عسكري رمزي خلال الدعاية الانتخابية للكتل الطلابية، مثل المُجسّمات، والتلثيم وغيرها من المظاهر التي قد تعتبر مخالفة لأنظمة وقوانين الجامعة.¹⁵ تحضر قضية "العسكرة" في الجامعة بين الحين والآخر، إذ تسبّبت في العام 2019 بإغلاق الجامعة من قبل الإدارة. وقال أحد نواب رئيس الجامعة حينها "إنّ قرار عسكرة أنشطة الطلاب قديم منذ سنوات ولكن تنفيذه كان يتأجّل بفعل الاحتكاك مع الطلبة."¹⁶ وأصدرت الجامعة بياناً نُشر على صفحتها على مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) اعتبرت فيه "عسكرة النشاطات" لا تمتّ إلى رسالة الجامعة

بصلة، ولا تعكس الرؤية الأكاديمية والمجتمعية لها.¹⁷ ونقلت صفحة الجامعة كذلك "منشوراً" عن أحد العاملين فيها، يعتبر قرار إدارة الجامعة منع العسكرة حلاً أخيراً بعد حملة تحريض تشنّها مؤسسات الاحتلال، وأنّ قرار العسكرة عمره قرابة عشرة أعوام، لكنّ الموج هذه المرة عالٍ.¹⁸ وفي وقت سابق، نشرت صفحات تابعة للاحتلال تهديداً للجامعة، على إثر قيام الحركة الطلابية بمحاكاة عروض عسكرية. بينما اعتبر ممثلو الكتل الطلابية الفعاليات التي تقوم بها الكتل رمزيةً، وليست عسكرية بالمعنى الحرفي، وهي من إرث العمل الطلابي في الجامعة، خصوصاً في مناسبات إحياء ذكرى انطلاق الفصائل. ودعمت نقابة أساتذة وموظفي جامعة بيرزيت موقف الحركة الطلابية حينها، كما ورد على لسان سكرتير النقابة آنذاك سامح أبو عواد "أنّ العسكرة الحقيقية هي اقتحام حرم الجامعة واعتقال الطلبة، وأنّ ما تقوم به الجامعات 'الإسرائيلية' من تطوير للأسلحة ولأنظمة الاتصالات الأمنية والتجسس هو العسكرة، وليس التعبيرات الرمزية عن نضال شعب يرفض الاحتلال."¹⁹ ويقول عبد الرحيم الشيخ، أستاذ الفلسفة والدراسات الثقافية والطالب السابق في الجامعة، في هذا الخصوص بأنّ هذا الوسم ما هو إلا "ظلم للذات الفلسطينية" بأنفسنا قبل ظلم الأعداء.²⁰

وبين رفض "العسكرة"، والصمت أمام تدخّل الأجهزة الأمنية للسلطة، تبرز الحاجة للتساؤل عن كيفية رؤية إدارة الجامعات الحرم الجامعي، فهل تراه مسرحاً لممارسة سلطتها وإبراز قوّتها على ضبطه، أم تراه فضاءً مجتمعياً حرّاً يحوي جموع الطلبة الفلسطينيين المثقفين الذين يتفكرون فيما بينهم بحثاً عن الطريق الأقرب للحرية والتحرير! إنّ حقيقة الإجابة عن تلك التساؤلات، هي ذاتها رؤية الإدارات الجامعية للعملية التعليمية وللجامعة، وبالتالي لكيفية رؤية الإدارات النشاط السياسي للحركة الطلابية.

وفي هذا السياق تشهد جامعة الخليل وجامعة بوليتكنك فلسطين في الخليل اعتقالات سياسية متكرّرة من السلطة تستهدف طلبتها، إلى جانب الحضور المكثّف لعناصر الأجهزة الأمنية داخل حرم الجامعة. وتأتي هذه الملاحقة للكتلة الإسلامية تحديداً باعتبارها الإطار الطلابي لحركة حماس، صاحبة الحضور الأكبر في مدينة الخليل. وكانت قد طالبت الكتلة الإسلامية في جامعة بوليتكنك فلسطين، في آذار/ مارس 2023، قبيل انتخابات مجلس اتحاد الطلبة في الجامعة، إدارة الجامعة بتنفيذ وعودها بعدم دخول ضباط أمن السلطة إلى حرم الجامعة.²¹ يؤشر وجود وعود على حضور أمني ودعوات متكرّرة لتقييده داخل حرم الجامعة على وجود أزمة حقيقية بين الأجهزة الأمنية وإدارة الجامعة والكتلة الإسلامية. الأزمة الذي يشير إليها بيان الكتلة الإسلامية بتاريخ 18 أيار / مايو 2023 الذي طالبت فيه إدارة الجامعة بالخروج عن صمتها "المريب" أمام "الظلم" الذي يتعرّض له طلبتها من ملاحقة الأجهزة الأمنية. وقد دعى البيان للتحرك إعلامياً وقانونياً، وأقل ذلك بيان صريح من إدارة الجامعة يستنكر هذا "الظلم".²² لم يكن الحال أفضل في جامعة الخليل التي تعاني من الأزمة ذاتها، إذ شهدت بواباتها الرئيسية (خارج أسوار الجامعة) حادثة اعتداء عناصر تابعة للأجهزة الأمنية على الصحفيين والطلبة المعتمدين للمطالبة بالحرّيّات داخل الجامعة.²³

وهنا لا بُد من العودة إلى جامعة بيرزيت للإشارة إلى ما يستحق الانتباه والتأمل. فوجود مظلة مثل حملة "الحق

في التعليم"، التي يعود تاريخ تأسيسها إلى العام 1988، يتركز عملها على توفير المساعدة القانونية للطلاب الذين كانوا يُعتَلَقون لمجرد حملهم الكتب.²⁴ وهذا يشير إلى وجود إطار يدافع عن نشاط الحركة الطلابية ويقدم لها الإسناد القانوني والإعلامي. وفي المقابل، فإنَّ غياب مثل هذه المظلات يُعد مؤشراً على وجود حركة طلابية مُحارَبة قبل حتى أن تولد، وضعيفة ومنخفضة السقف.

في السياق ذاته، تستمدُّ الحركة الطلابية جزءاً مهماً من قوّتها من وجود نقابة فاعلة للعاملين في الجامعة، كما هو الحال في جامعة بيرزيت، حيث يقع على عاتق الحركة الطلابية والنقابية معاً دور أساسي في مهمّة تطوير الحياة الجامعية بشكل ديمقراطي.²⁵ كما ارتبطت النقابة بحركة نقابية أوسع جعلت من القضية الوطنية السياسية والمعاناة الشعبية محوراً مركزياً في نضالها ورؤيتها ورسالتها، ولا سيّما في ما يتعلّق بمهمّة بناء المؤسسات التعليمية وتطويرها وحمايتها، بوصفها مؤسسات شكّلت الرافعة الثقافية والأكاديمية للمشروع التحرّري الفلسطيني.²⁶ وتشير شهادات من نقابة العاملين في جامعة بيرزيت إلى أنّ المفهوم الشامل للعمل النقابي مستمدّ من التجربة السابقة في الحركة الطلابية.²⁷ وهو ما تؤكّده شواهد عديدة رصدتها دراسة الباحث أحمد مفيد، منها إضراب النقابة في العام 1985 الذي أسهم نجاحه في خلق حالة من الالتفاف الطلابي والنقابي، خاصّة بعد مساندة مجلس اتّحاد الطلبة النقابة ومشاركته في الإضراب.²⁸ ويشير هذ التعاضد والإسناد النضالي والتكامل النقابي بين النقابة والحركة الطلابية في جامعة بيرزيت إلى وجود بيئة حاضنة لتبلور حركة طلابية مسنودة وقوية، وهو ما يجعل الفعل النقابي أكثر تماسكاً.

وعلى صلة بذلك، فإنَّ سعي الجامعات للتقنية والفصل بين العلم والثقافة إنّما في جوهره استكمالاً لـ "كسوف فلسطين"²⁹ ولكن بأدوات بيداغوجية، إذ تشهد بعض الجامعات تعليماً عن فلسطين، بوصفها قضية تاريخية، بمعنى أنّه يتمّ تدريس تاريخ المقاومة لا بوصفه حالة مستمرّة، بل مرحلة تاريخية "غابرة". وفي هذا السياق، من الجدير الإشارة إلى ما خلّصت له الأستاذة في دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية في جامعة بيرزيت، قسّم الحاج، حول أنّ "السردية الوطنية الفلسطينية وطريقة تدريسها في الجامعات الفلسطينية، باستثناء جامعة بيرزيت، تقدم سردية ضعيفة تُقرأ كتاريخ مدرسي وغير دقيق، وفي الوقت نفسه هي سردية منسجمة مع الخطاب السياسي الرسمي للسلطة الفلسطينية وهو خطاب مهزوم فعلياً وبلاغياً في علاقته مع الاستعمار الصهيوني وسرديته العدوانية، وغير قادر على بناء سردية مضادّة له وتفكيك سردية المستعمر سواء أكانت الجامعة عامة أو حكومية أو خاصة أو تابعة للأمم المتحدة.³⁰ وفي ظلّ غياب حركة طلابية فاعلة تقوم ببرامج تثقيفية تزداد الأمور تعقيداً، ويتوسّع الشرح القائم في وعي الطلبة السياسي، وثقافتهم الوطنية، بنفس المسار الذي يجري فيه تفريغ فلسطين كقضية تحرّري وطني من الروافد المدرسية والجامعية.

مؤخراً وتحت وطأة الإبادة الصهيونية، تحوّلت التنافسية بين الجامعات إلى أشبه بمنافسة سوقية، خالية من أيّ شعار سياسي. فقامت الجامعة العربية الأمريكية بتجميد مجلس اتّحاد الطلبة بعد شجار داخل الجامعة راح ضحيته الطالب "مهران خليلية" وذلك في كانون الأول 2021، واستمر التجميد حتى العام 2024. وقد قالت

الجامعة في بيان لها على صفحتها على فيسبوك إنَّ التجميد هدفه "منع تعطيل سير العملية التدريسية".³¹ ولعلَّ تعبير "العملية التدريسية" يشير في جوهره إلى رغبة غير معلنة في حصر الجامعة بالتعليم حصراً. يتجلى هذا الفهم للجامعة، في حرمانها الكائن في رام الله، حيث تتخذ عمادة شؤون الطلبة موقفاً من النشاط الطلابي السياسي والنقابي، إذ تتعامل الإدارة بحزم مع كلِّ ما هو سياسي إلى حدِّ معارضتها تنظيم فعالية وطنية لأحد النوادي الطلابية.³² يأتي هذا "الوعي" بما يتم اعتباره خطورة للعمل السياسي داخل الجامعة من تصوُّر خاص لهوية الجامعة ورسالتها، وهو تصوُّر لا يبدو متصلاً بالواقع السياسي المحيط، وينظر إلى الجامعة كمشروع استثماري. وتعدُّ هذه إشكالية حقيقية مرتبطة بالنزوع المتزايد نحو ما هو سوقي وتجاري، مقابل تهميش البعد الثقافي والسياسي، وذلك على الرِّغم من صخب الواقع السياسي في ظلَّ الإبادة والعدوان الصهيوني-أمريكي على شعوب المنطقة.

يمكن القول إنَّه في الوقت الذي تُشنُّ فيه الحرب على الجامعة الفلسطينية من قبل الاحتلال، تشن الجامعة حرباً على نفسها وطلبتها وحرمانها، وذلك من خلال سعيها لـ"الخروج من ثوبها"، وتغيير سياق نشأتها المتَّصل بمقارعة الاحتلال، وتجاوز منطقتها الذي يشير إلى كونها امتداداً للمجتمع المتعطِّش للحرية، وطلبعته الشبابية المثقفة التي تتفاكر فيما بينها في قاعاتها وساحاتها في القضايا الراهنة، مثل الإبادة والمقاومة وسبل إسنادها في معركتها المفتوحة مع الصهيونية والمنظومة الإمبريالية العالمية بأكملها. كما ولا يخفى على أحد حاجة المجتمع الفلسطيني في هذه اللحظة الحرجة إلى حركة طلابية متماسكة تمثِّل إطاراً منظماً في ظلِّ حالة التآكل وانعدام الفاعلية للأطر الشعبية المختلفة، ما يتطلَّب ضرورة مساءلة تلك الإدارات الجامعية عن المستقبل الذي تراه لجامعاتها.

الأمل الموجه الذي لم يتبقَّ سواه تبدو فرص نهوض الحركة الطلابية ولملمة نفسها، في ظلِّ الهجمة الاستعمارية الصهيونية المسعورة، وتمسُّك السلطة الفلسطينية بمشروعها التفاوضي والدفاع عنه عبر محاربة ثقافة المقاومة، وغرق الجامعات في الأجزاء ومغازلة السلطة والنأي بالنفس عن السياسة والثقافة، شديدة الصعوبة. لكن طريق المستحيل مليء بفجوات الممكن، ومطبَّات المناورة. فاقتحام جامعة بيرزيت في وضوح النهار، مرهون بردِّ فعل الجامعة وحركتها الطلابية، وقد عبَّرت الجامعة في أكثر من مناسبة عن تمسُّكها بالاستمرارية ورفضها الخضوع لإملاءات العدو الصهيوني، رافعةً راية الاستمرار في وجه محاولات الإخضاع. قد توجي قتامة الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي تعيشه الجامعات والحركات الطلابية باستحالة التغيير، غير أنَّ الأمل يتوارى في ثنايا هذه الاستحالة، ويظهر في مواصلة النضال والمقاومة والتدافع ومحاولات النهوض.

يطرح المحاضر في العلوم السياسية في جامعة بيرزيت، عماد غياظة، في ختام دراسته عن الحركة الطلابية الفلسطينية رؤية استشرافية لمستقبلها، إذ يرى أن أزمته لا تنفصل عن أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها. فالحركة الطلابية، بوصفها امتداداً بنويماً للفصائل السياسية، بقيت في كثير من الأحيان خاضعة لتبعية تنظيمية حدَّت من استقلاليتها وأضعفت قدرتها على صياغة أجندتها الخاصة. ولذلك، يؤكد غياظة أنَّ مستقبل الحركة الطلابية مرهون بقدرتها على تجديد نفسها عبر تعزيز استقلاليتها التنظيمية وتطوير أدوارها الاجتماعية

والتعليمية، بما يمكنها من استعادة دورها كقوة فاعلة في المجتمع وقادرة على التفاعل مع التحوّلات السياسية والاجتماعية والمساهمة في القضايا الوطنية.³³ لكن هذا التشخيص، الذي يعود إلى عقدين ونصف من الزمن، تبعته سياسات تجريف متواصلة مارسها الاحتلال والسلطة. كما شهدت الجامعات تحوّلات متراكمة في تعاملها مع العمل النقابي والسياسي، تكثفت بصورة حادّة مع الانقسام السياسي في العام 2007. في هذا السياق، لم تعد "الاستقلالية التنظيمية" المدخل الكفيل بنهوض الحركة الطلابية، بل قد تتحوّل أحياناً إلى عامل يكرّس حالة الركود إذا جرى فهمها كانفصال عن الحركة الوطنية. ومن هنا تبرز أهمية التفكير في "التكامل التنظيمي" الذي يعيد وصل الطلبة بالحركة الوطنية وقوى المقاومة، ويستعيد دور الحركة الطلابية بوصفها رافداً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً لها. فالحركة الطلابية ليست مجرد إطار نقابي داخل مؤسسة تعليمية، بل هي فضاء لتكوين الوعي الوطني والثقافي، الأمر الذي ينعكس على الحيوية العامة للحركة الوطنية نفسها.

وأخيراً، لا شكّ أنّه لا يكفي تفسير ترهّل الحركة الطلابية بترهّل الحركة الوطنية، بل ينبغي التوقّف عند سياسات الخلخلة التي فُرِضت بينهما خلال العقود الأخيرة، سواء عبر التدخّلات الأمنية أو عبر إفراغ الجامعات من مضمونها السياسي والثقافي. إنّ تفكيك هذه السياسات وفتح مسارات جديدة لردم الفجوة بين الحقلين الطلابي والوطني يمثل شرطاً أساسياً لإعادة النهوض، ولانبثاق حركة طلابية متجدّدة مسنودة بحركة وطنية حيّة. إنّ اختفاء الحركة الطلابية لا يعود إلى تراجع في طبيعة دورها، بقدر ما هو نتيجة تراكم منظومة من التجريف الذي تضمّن: استفحال التقنية على حساب الثقافة، وتدجين العلوم والمعرفة وفصلها عن قضية التحرّر الوطني، وأمنّة الحرم الجامعي وتحويله إلى فضاء منضبط ومراقب... غير أنّ هذه السياقات السلطوية، على شدّتها، لا تلغي إمكان المقاومة. وعلى ذلك، فإنّ الوعي بمآلات هذه التحوّلات بالنسبة للحركات الطلابية والجامعات ليس ترفاً فكرياً، بل هو ضرورة وجودية وطنياً، لأنّ البديل عن استعادة هذا الوعي هو استمرار التلاشي. وهو ما يجعل سؤال استعادة الحركة الطلابية مُلِحاً ويتجاوز مصير مجال الجامعة إلى مصير المجال الوطني الفلسطيني بأسره

الإحالات

[1] جورج جقمان، "مقدمة: هل الجامعة الفلسطينية في أزمة؟" في التحديات المركبة أمام الجامعات الفلسطينية: هل من مخرج؟ وقائع مؤتمر مواطن السنوي الثاني والعشرين، تحرير معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان (بيرزيت: معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان، 2019)، 1-9.

[2] بلال سلامة، "تدمير الثقافة الجامعة: من السلعة إلى صناعة الخدمة السريعة"، الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية، العدد 1 (2025): 82-97.

[3] قسّم الحاج، "تفكيك الخطاب الجامعي: نماذج من الأكاديميا التحررية الفلسطينية"، الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية، العدد 1 (2025): 60-80.

[4] أيمن يوسف، "أطروحات الحركة الطلابية في الجامعات الفلسطينية بين السياسي والمطلبي: قراءة نقدية في السلوك والممارسة"، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 23 (2013): 339 - 372.

[5] إبراهيم خريشة، "دور الحركة الطلابية في الأراضي الفلسطينية وعلاقتها بالسلطة والأحزاب بعد أوسلو"، في الحركة الطلابية الفلسطينية

- ومهمات المرحلة: تجارب وآراء، تحرير مجدي المالكي (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية- مواطن، 2000)، 95-116.
- [6] المصدر السابق، 14.
- [7] زاهر بني عودة، تراجع الأدوار السياسية والتنظيمية للحركة الطلابية في الجامعات الفلسطينية وتداعياتها على قيم وأنماط الثقافة السياسية السائدة لدى الطلاب: دراسة حالة جامعة النجاح الوطنية وجامعة بيرزيت (نابلس: جامعة النجاح، 2020)، 63. رسالة ماجستير.
- [8] الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان – فلسطين (ديوان المظالم)، "بيان صادر عن الهيئة حول تداعيات الأحداث التي وقعت في جامعة النجاح الوطنية وأدت إلى وفاة الطالب محمد الزّداد بتاريخ 2007/7/24"، شوهد في 14 آذار 2026.
<https://ichr.ps/public/page/121062>.
- [9] تيسير أبو ساكور، "دور الجامعات الفلسطينية في جنوب الضفة الغربية في تنمية الوعي السياسي ونشره لدى الشباب الجامعي"، مجلة جامعة الخليل للبحوث، العدد 1 (2009): 223-252.
- [10] المالكي، مصدر سبق ذكره، 106.
- [11] ساجي أبو عذبة، "جامعة النجاح من القلب إلى الهامش.. كيف خسر النضال الوطني جامعته؟" إطار، 11 أيار 2023، شوهد في 14 آذار 2026.
<https://2u.pw/MKaQQA>.
- [12] "زيارة الرئيس أبو عمار لجامعة النجاح"، يوتيوب، 6 نيسان 1996، شوهد في 15 شباط 2026.
<https://www.youtube.com/watch?v=EzA7kTx9kmQ>.
- [13] أبو عذبة، مصدر سبق ذكره.
- [14] لبابة ذوقان، "محاولة لدق جدران جامعة النجاح"، متراس، 19 آب 2022، شوهد في 7 آذار 2026.
<https://2u.pw/HhpH9z>.
- [15] باسل رزق الله، "انتخابات بيرزيت دعاية دون "عسكرة"، متراس، 8 أيار 2018، شوهد في 10 آذار 2026.
<https://2u.pw/IPKce>.
- [16] ميرفت صادق، "جامعة بيرزيت.. بين تحريض إسرائيل ومنع العسكرة"، الجزيرة، 17 كانون الأول 2019، شوهد في 10 آذار 2026.
<https://2u.pw/jghZkD>.
- [17] انظر بيان الجامعة المنشورة على صفحتها على فيسبوك: "Birzeit University | جامعة بيرزيت"، فيسبوك، شوهد في 14 آذار 2026.
<https://2u.pw/kdBkgz>.
- [18] للمزيد انظر صفحة الجامعة على فيسبوك: "Birzeit University | جامعة بيرزيت"، فيسبوك، شوهد في 20 شباط 2026.
<https://2u.pw/oBGpCy>.
- [19] صادق، مصدر سبق ذكره.
- [20] عبد الرحيم الشيخ، "جامعة بيرزيت: العنف، والعسكرة، والفرجة"، الحدث، 12 كانون الأول 2019، شوهد في 10 شباط 2026.
<https://www.alhadath.ps/article/110736> -جامعة-بيرزيت-العنف-والعسكرة-والفرجة--عبد-الرحيم-الشيخ
- [21] "الكتلة في بوليتكنك فلسطين تستنكر ملاحقة أجهزة السلطة لكوادرها"، الرسالة نت، 13 آذار 2023، شوهد في 10 آذار 2026.

<https://2u.pw/4CstNq>.

[22] "عناصر مخبرات يدهمون منزل طالبة في "بوليتكنك" ويصادرون حاسوباً وأجهزة اتصال"، **الترا فلسطين**، 18 أيار 2023، شوهد في 10 آذار 2026.

<https://2u.pw/tSdcin>.

[23] "الأمن الفلسطيني يعتدي على 4 صحفيين خلال احتجاج أمام جامعة الخليل"، **العربي الجديد**، 3 آب 2023، شوهد في 10 شباط 2026.

<https://2u.pw/59Drp9>.

[24] حول حملة الحق في التعليم في جامعة بيرزيت، انظر: حملة الحق في التعليم، **الموقع الرسمي لجامعة بيرزيت**، شوهد في 10 شباط 2026.

<https://www.birzeit.edu/ar/right2edu>.

[25] أحمد مفيد، **إضراب: نقابة أساتذة وموظفي جامعة بيرزيت والجامعة الحديثة (1987 - 2021)** (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2022)، 13. رسالة ماجستير.

[26] المصدر نفسه، 2.

[27] المصدر نفسه، 161.

[28] المصدر نفسه، 93.

[29] "كسوف فلسطين" هو مفهوم طرحه عبد الرحيم الشيخ لأول مرة في مؤتمر مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية في العام 2009، ويقصد به عملية حجب قضية فلسطين كقضية تحرر وطني في الخطاب العام، لصالح خطابات أخرى "تكسف" ظهور فلسطين في الخطاب العام. انظر: عبد الرحيم الشيخ، "تحولات البطولة في الخطاب الثقافي الفلسطيني"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 96 (2013): 73-95؛ عبد الرحيم الشيخ، "الشهداء يعودون إلى رام الله"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 133 (2023): 128-155.

[30] قسم الحاج، **تدريس فلسطين: الأكاديمية الفلسطينية التحررية في الجامعات الفلسطينية 1977-2018** (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2024)، 208. أطروحة دكتوراه.

[31] انظر: "Birzeit University" جامعة بيرزيت شوهد في 12 آذار 2026.

<https://2u.pw/i8aq9Z>

[32] خلال نقاش مع أحد الطلبة في الجامعة، أخبرني عن رفض عميدة شؤون الطلبة رفع علم فلسطين في إحدى فعاليات النادي. وتحدث أيضاً عن محاولات عمادة شؤون الطلبة التدخل والاطلاع على كافة فعاليات النادي للتأكد من خلوها من كل ما هو سياسي.

[33] عماد غياظة، **الحركة الطلابية الفلسطينية: الممارسة والفاعلية** (رام الله: مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2000)، 183-210.